هاتوا دموعي

دعوني
هاتوا دموعي ،
أريد البكاء اسمعوني ،
فكّوا القيد عن عيني
كي أرى دربي حلّوا رباطي اتركوني ،
هل تسمعوني ؟!،
أريد البكاء ، دعوا دمعي ينثال في جفوني ،
حرروني ،

يا قوم ،
اتركوني أجوز أرض البدون ،
أرى من ذا يخوض في شؤوني ،
وأفحص الأشياءْ ،
وأعرف الأسماءْ ،
لأخطو في ظلام الليل البعيد في سمتي إلى متوني ،
وأرنو إلى قمرٍي ،
ونجمي ،
أطلقوني .

دعوني ،
لم تعرفوني !
هل سمعتم بصارخٍ في أيامي وسنيني ؟!،
بقدحٍ فيٍ شجوني ؟!،
بفرحٍ مسجّىً على غابةٍ ثكلى يذوي في غصونِ ؟!،
بشعبٍ ملقىً في سجون ؟!،
أزدردُ القطران ،
أريد شمَّ النسيم ،
اتركوني .

دعوا لي دمعي المدمّى ،
هذا قلبي المنفجر برقاً وعاصفةً وهمّا ،
حضرة الصارخين في شكّي في ظنوني ،
أ بعتموه ، أ شتريتموني ؟!،
أ قطّعتموه وقطّعتموني ؟!،
وخبّأتموني ؟!،
اين صار وصرتُ ؟!..
أريد دمعي متُّ !،
خرتُ من بردٍ ،
دعوا الدفءَ في عيوني ،
دعوني !.

يا قوم !..
ثروتي !،
إن تسرقوها تسرقوني ،
أما رسمت لها طيفاً يجول في فرحي وقهري وجنوني ؟!،
يلمّ حجرَ جبلٍ لوادِ ؟!،
يدوّي في فضاءٍ يرجّ في بلادِ ؟!،
يمخر في بحارِ ؟،
يطوي في وهادِ ؟،
يطلق تاريخاً من زرد الأثير وضوء النهار ؟!،
دعوه معتّقاً في خوابي نبيذ العمر في مدادِ ،
لربما ارتاح يوماً في وجودي ،
اتركوني !،

ذروني ،
لعلّي أرقى سماءا ،
أقطع الأرض دربَاً خواءا ،
أعدّ الحفرَ الحجرَ التراب موحلاً ريحاً وماءا ،
ألقى الخلقَ القططَ الكلابَ المزروعة على أرصفة البلاد سواءا ،
لعلي أرى عصافير تغني نساءا ،
وأمدّ الشعر بنبرٍ عصيٍّ عذابا ،
سأحبو إلى جرذان ،
أحدو غرابا ..
هل تفهموني ؟!،
اتركوني ،

ويا قومُ ،
كفى !..
انظروا دخان السماء حاذروا أن تعنفَ !،
رداءٌ من الغيظ شقّه شيطانْ ،
ساقه للقتلة المخدّرين قرصان ،
نفخ فيه أشباح وجان ،
بخوراً للعبيد ،
للمعذبين قفطان
رصّع الجلاد فيه جواهرِ الخلق رقىً ،
ألقى له البرق شعاعاً يهدي الأنام ،
نابذته الصحارى
ناءت حبارى ،
وقلبي على بساط الريح ينام ،
شدّما جاب بحارا ،
خاض غمارا ،
فارحموه ،
ارحموني ،

أيها الحجر ،
أيتها السماء ،
دعوني أهبط قاعاً أدكّ الفضاء ،
أمشي درب الحصى ،
أرنو إلى رقص الهجيرِ الساخر من فناء ،
الساخطِ المستحمِّ في عراء ،
أجبل الطينَ أبنيٍ في صدى السجونِ ،
أمدّ حبلاً في سراب ،
أردّ الحراب ،
لألقي ذكرى نهارٍ خائرٍ في نوافذ المساء لهاثاً من كتاب ،
شعاعاً من خراب ،
اتركوني ،

ويا قوم ، روني !،
أدقّ سراديب الصمت المنقعرٍ في سكونِ !،
أقرأ فيه تمائمي ،
أصبّ فنوني !،
لأرى من أي خبث كان ؟!،
من أي ملحمةٍ أسطوريةٍ ثكلى ؟!،
تثاءبوا ، ألقيتم على ظهري حصوني !،
ابتلعتموها ، ابتلعتموني ،
قئتم وطني الشهيد في وجهي ،
قذىً في عيوني !،
أيها القوّادون ،
أتلفتموني !،

دعوني ،
أرى بدوَ البلاط الرفيع في مجده القدسِيّ ،
يلمع في كتفِ راقصةٍ ترفل في صراخٍ هائجٍ من شبق المجون ،
لأسأل كلَّ نخّاسٍ وراعْ ،
ما عسى في بازار السبيِ اشترى أو باع ؟!.
لأفهمَ ذا الغباءَ السرمديَّ المحلّى في ألفِ وجهٍ ،
الملوّنَ في قناع ،
لأحكي عن ثراءٍ يموءُ ،
وشعبٍ خائرٍ جاعْ ،
عن وطن يموت على أيدي الضباعْ ،
مزّقه الرعاع ،
وضاعْ ،
اتركوني ،

يا قوم كفى ،
أما تكسّر شجري وأحترقت غصوني ؟!،
أما انهدمت حصوني ؟!،
وسكن بحر الدماءْ ؟!،
وارتفع صرخُ الإماءْ ؟!،
وصات ظلامُ الليل اشتهاءا ؟،
وصاح عهراً وَساءَ ؟!،
وختم الله عليكم في صندوق العجائب ؟!،
واللعبة وصلت حدّها ؟!
أما خربت ؟!،
أما عمرت ؟!،
أما كبرت ؟!،
أما صغرت ؟!،
هيا اتركوني ،
دعوني !.